



الفصل الثالث

مسطرة المقاومة والاحتجاج

١- مقدمة.

٢- مسطرة المقاومة والاحتجاج.

٣- المنظومة السداسية لتقييم مستوى المقاومة.



١- مقدمة

تستلزم الدراسة المتأنية لقضايا الصراع التمييز بين مصطلحي المقاومة والاحتجاج، حيث يشيع الخلط بين الكلمتين في كثير من الأحيان، ولتوضيح الفارق بين المصطلحين نعرض القصة التي ذكرها بير هيرنجرين في كتابه «طريق المقاومة» حيث كتب: (ارتبط درسي الأول الذي تعلمته عن العصيان المدني بولادة أخي، حيث كنت مفتونًا بإصراره البريء على تنفيذ ما يشاء وبالطريقة التي يشاء، وعندما لا يرغب في عمل شيء فإنه ببساطة يرفض ولا يساوم على هذا الرفض، وهو ما كان مغايرًا تمامًا لما كنت عليه، حيث إنني كنت ابنًا مطيعًا جدًا. ولا أقصد بهذا أنني لم أكن أعترض، فلقد كنت أصبح بشكل عنيف وأصرخ وأجادل، ولكن عندما ينتهي هذا الاحتجاج والصراخ فإنني أنصاع للأمر في نهاية المطاف. وقد ساعدني هذا التباين بيني وبين أخي كثيرًا في فهم الفارق بين مفهوم المقاومة Resistance والاحتجاج Protest. إن الاحتجاج قد يكون مجرد تعبير عن موقف ثم العودة والإذعان. أما المقاومة فتسعى إلى إلغاء القرار، وتحدي القانون. إنها ترفض الإذعان والطاعة. إن المقاومة في جوهرها هي العصيان.)^(١)

والهدف من التمييز بين المقاومة والاحتجاج أن يدرك النشطاء الدرجة التي يقفون عليها من الصراع، ويحسنون اختيار الوسائل المناسبة لتحقيق أهدافهم، فعن وعي وإدراك يكتفون بالاحتجاج، أو يقررون التصعيد وشن حملات المقاومة، وعلى صعيد آخر فإن هذا التمييز يمثل للدارسين معيارًا للحكم على طبيعة المقاومة وتطور أدائها خلال المراحل المختلفة للصراع.

(١) أحمد عادل عبد الحكيم، د. هشام مرسي، م/ وائل عادل، حلقات العصيان المدني، الدار العربية للعلوم ناشرون، أكاديمية التغيير، بيروت، ٢٠٠٦، ط١، ص ١٣-١٤.

٢- مسطرة المقاومة والاحتجاج

ومن هنا تأتي أهمية وجود المعايير العلمية لتصنيف الأنشطة، باعتبارها مقاومة أو احتجاجاً أو استسلاماً، ولا يمكن لهذا التصنيف أن يكون حدياً - أسود أو أبيض؛ بل هناك دائماً طيف من ألوان الفعل يتجاوز مصطلحات «المقاومة» و«الاحتجاج» و«الاستسلام».

لذلك يمكن تخيل مسطرة الفعل، تشير درجة «صفر» فيها إلى «الاستسلام التام»، وتشير الدرجة «عشرة» إلى «المقاومة الواعية»، ويمثل تدرج المسطرة - ما بين الصفر والعشرة - طيفاً يحوي في طياته الاحتجاج، والذي يقترب من الاستسلام أو المقاومة بحسب قرار المجتمع وأدائه.

فقد يلجأ المرء في المجتمع إلى الإنكار القلبي، أو التعاطف مع المقاومة، لكنه لا يترجم هذه العاطفة إلى فعل احتجاجي، حينها

تكون أفعاله التي يمارسها بشكل يومي في حياته الطبيعية أقرب إلى الاستسلام. أما إذا استوعب الفرد إمكانية تحكمه في الحياة اليومية للمجتمع، وأدرك مدى قوة تأثير تعاونه من خلال ممارسة الأعمال اليومية، وقرر توظيف هذه القوة في دعم أو معارضة أو تغيير النظام الحاكم؛ فقد ارتقى في سلم «المقاومة الواعية».

وللتعرف على مدى كون النشاط نوعاً من الاحتجاج أو المقاومة فقد وضعنا هذه المنظومة السداسية التي تستخدم لتقييم مدى سخونة النشاط واقتربه من تصنيف المقاومة، أو برودته فلا يغادر مستوى الاحتجاج.

٣- المنظومة السداسية لتقييم مستوى المقاومة

تحتوي هذه المنظومة على ست نقاط أساسية للحكم على النشاط من حيث كونه

مقاومة أو احتجاجاً:

١- النتيجة المتوقعة من الفعل: هل سيؤدي النشاط إن تم بنجاح إلى تغيير الأوضاع أم أنه مجرد صرخة وعمل رمزي؟ وهل هدف الفعل الابتدائي الذي اختير النشاط من أجله تسجيل حضور أم تغيير وضع؟

٢- الإرادة والوعي: هل النشاط نابع عن وعي بخارطة الصراع، وأطرافها، ومراحلها، أم أنه عفوي وليد اللحظة؟

٣- الاستمرار: هل النشاط الحالي حلقة ضمن حلقات حملة المقاومة، فيُنظر إليه كسلوك مستمر متصاعد في مسار واضح ينتهي

إلى تحقيق هدف المرحلة الحالية من الصراع؟ أم أنه سلوك عرضي، مآله الإذعان لسلطة النظام وضغطه في نهاية المطاف؟^(١)

٤- الرؤية الاستراتيجية: والتي تجيب على سؤال: وماذا بعد؟؟ فالفعل المقاوم يُشَيّد على رؤية استراتيجية تحدد مراحلها وبدائله. فإن لم يفلح النشاط (س)، سيُستعمل النشاط (ص)، وهكذا..

وهنا يظهر طَيَف الخيارات، ويُصبّ سلم التصعيد الذي ترتقي عليه الحركة، لتحقيق أهدافها الاستراتيجية المرحلية والنهائية، كما تتحكم الرؤية الاستراتيجية للصراع في تحديد إمكانية المزج بين الاحتجاج والمقاومة بما يخدم المرحلة. فالنشاط الاحتجاجي التقليدي قد يصنف كنشاط مقاوم إن أُدرج في خطة تبدأ بالاحتجاج ثم التصعيد المتوالي، حينها تعتبر الخطة الكلية خطة مقاومة لا احتجاج، رغم أنها

(١) الاستمرار في النشاط بحد ذاته لا يعبر عن فعل مقاوم، فالمسيرات والإضرابات المنتظمة تظل أعمالاً معزولة لا تكتسب معنى العمل التغييري المقاوم حتى تدرج ضمن رؤية استراتيجية واضحة. فهي أشبه بأعمال الخير والإحسان ولكن في ثوب جديد. فإعطاء بعض الفقراء صدقات بشكل مستمر لا يعني حل الأزمة الاقتصادية.

استخدمت أساليب الاحتجاج. وبذلك يمكن النظر إلى حرب اللاعنف كسلسلة من جولات الكر والفر والمقاومة والاحتجاج.

٥- فعل أو رد فعل: من الطبيعي أن تبدأ المقاومة كرد فعل على

قضية كبرى كالاحتلال مثلاً، لكن هل العمليات في معركة طرد المحتل استباقية أم دفاعية؟ إذ قد تكون الشرارة الباعثة للمقاومة ردة فعل إزاء حدث ما، وتبقى وظيفة قوى التغيير في المجتمع صناعة الفعل وإبقاء الخصم في خانة رد الفعل، وألا تنجر إلى خانة رد الفعل التي سيحاول الخصم جاهداً دفعها إليها. فالسلوك المقاوم يقوم على الإمساك بزمام المبادرة والفعل، والسيطرة على مسرح الأحداث وفرض إيقاع التحركات عليه.

لذلك يمكن تقييم أي نشاط من حيث: هل يُستدرج المجتمع إلى ردود أفعال أم أنه صانع الأفعال؟ فما هو رصيد النشاط من العمل الاستباقي والاستثمار بعنصر المفاجأة؟

٦- مدى حماية النشاط: كلما ازدادت خطوط الحماية التي أعدها المقاومة لحماية أنشطتها كلما كانت أقدر على الإعلان عن نشاطاتها وأكثر جاهزية لاستثمار عواقب النشاط التي سيلجأ إليها الخصم، دون الإستدراج إلى منزلق ردود الأفعال. من هنا كان سعي الفعل المقاوم إلى حماية أنشطته حتى يحقق أهدافه، لذلك فإن من أهم الأسئلة التي تطرح لتصنيف النشاط.. ماذا أعد النشاط لحماية الأنشطة المقررة خلال حملة المقاومة؟ وكيف ستصدي للتصعيدات التي سيلجأ إليها النظام المتعسف؟ فالتخطيط لحماية النشاط جزء لا يتجزأ من التخطيط للنشاط.

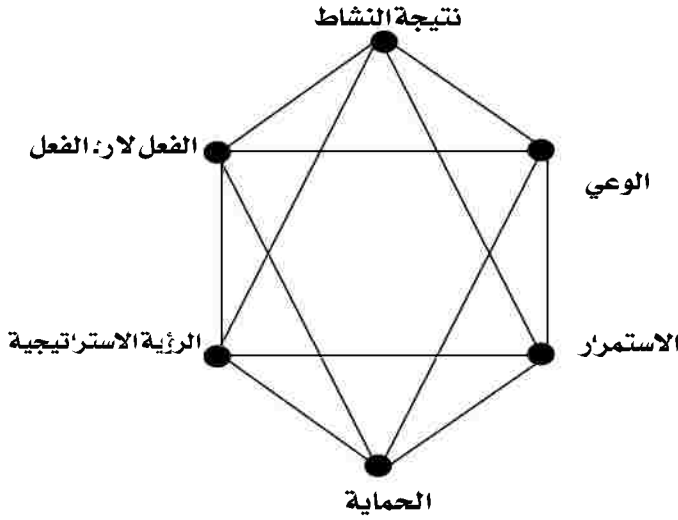
يمكن بهذه العوامل الستة خلق مسطرة لتقييم أي نشاط والتعرف على مدى

قربه من المقاومة أو الاحتجاج. فكلما استوفى النقاط السابقة كلما كان أقرب إلى المقاومة

المقاومة	الاحتجاج
عمل قادر على إحداث التغيير.	عمل رمزي لا ينتهي بالتغيير.
فعل	رد فعل.
نشاط علني يتسم بالتحدي.	نشاط يتسم بالمهادنة.
خطوط حماية فعالة.	حماية عفوية غير مخططة.
إرادة ووعي بالأهداف.	عفوية
تصميم على الاستمرار حتى تتحقق مكاسب حقيقية.	تسجيل حضور والتعبير عن موقف ثم الإذعان.
قائمة على تصور استراتيجي بعيد المدى.	لا تعتمد بشكل كبير على تصور استراتيجي بعيد المدى.

جدول ٣: المنظومة السداسية للتمييز بين المقاومة والاحتجاج، حيث تتسم أعمال المقاومة بأنها أفعال تدفع الخصم إلى موقع رد الفعل، وتكون هذه الأفعال علنية تتحدى الخصم، وتسعى لفرض قوانين صراع جديدة تمكن المجتمع من حماية أنشطته والاستمرار والتصعيد فيها حتى يصل إلى مبتغاه بشكل وع استراتيجي رغم أنف النظام الديكتاتوري القمعي

ويجدر بالذكر أن هذه النقاط الست مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً، والعلاقة بينها متبادلة وديناميكية كما يبين الشكل التالي



شكل ٤: منظومة الأكاديمية السداسية تبين مدى ارتباط النقاط الست ببعضها وعلاقتها المتبادلة بين كل نقطة وأخرى

وهنا ينبغي التذكير بأن المقاومة ليست شعارًا يعلنه النشطاء «نحن مقاومون»، ولكنها فلسفة تعمل، وثقافة تحكم نمط التفكير، وإعداد جاد من أجل الانتصار، لا الاكتفاء بتسجيل الحضور.

وليس من الصواب أن نسأل أيهما أفضل؟ المقاومة أم الاحتجاج أم الدمج بينهما؟ فالهدف هو الذي يميل على النشطاء أيهما أصلح، وإمكانياتهم وقدراتهم لها قول كذلك يجب الإصغاء إليه.
